ماهية الدلالة بين القديم والحديث

تحتاج المجموعات الاجتماعية في التعامل فيما بينها- داخل بيئة مشتركة- إلى نظام يسهل التواصل والاتصال، تلك هي اللغة، التي تعتبر مجموعة الأصوات والرموز المعبرة عن الأغراض والحاجات، وهي سبيل تماسك الأمة فيما بينها .

و بعد التطور الذي تنال المجتمعات المختلفة نصيبها منه، تطورت اللغة وشملت كل ما أهم بني البشر، من علوم مختلفة تخدم حياتهم وتجعلها سهلة ميسرة، فدرست كل أمة نشأة لغتها، مدعية سبق وجود لغتها على لغات العالم، وهذا التعصب دليل اهتمام الأمم بلغاتها .

واللغة العربية من أرقى اللغات، لما تملكه من جمال بيان وقوة إقناع، لا نقول ذلك تعصبا، وإنما حقيقة اعترف بها العدو قبل الصديق، أما عن اللغتين الانجليزية والفرنسية انتشارها عبر العالم لم يكن وليد قوتهما كلغتين تنجذب إليها الأجناس الأخرى، وإنما توسع رقعتهما كان بسبب الاستعمار، بل فرضت فرضا على الشعوب المستعمرة، حيث كان من أسباب انتشار اللغة العربية الفتح الإسلامي، وتوسع دائرة حكم العرب في فترة من فترات التاريخ. وانتشارها لم يكن بقوة السيف كما يدعي الغرضون، بل كان حبا فيها.

قوة اللغة تكمن في قوة علومها، وأنظمتها، ومكنوناتها المعجمية، النحوية، البلاغية، الصرفية، والدلالية، وغيرها .

واعتبر العرب من أقطاب البيان، العالي الجودة، لذلك انكب عليها غير مستعمليها بالبحث والدراسة من مستشرقين، لم يكن اهتمام العرب بلغتهم وليد صدفة، بل كان القرآن الكريم، الكتاب المقدس، الدافع الأول، والمحفز الأوحد، الذي جعل العرب يهتمون بلغتهم، فانكبوا عليها بالدراسة والتمحيص، فغاصوا في أعماقها، حفاظا على هذا الكتاب، وضمانا لاستمرارية العمل بمقتضاه .

(اهتدى العرب إلى علم الأصوات، وهم يدرسون قواعد تجويد كتابهم، ودرسوا اللسانيات، وهم يضبطون حروفه وكلماته، من حيث الدلالة والموقع) وفي سياقات اللغة المختلفة وضعوا علوم الآلة، كالنحو، والصرف، والبلاغة، والعروض، حتى وقفوا على الاستثناءات والشواذ، ومعظم علماء اللغة العربية لم يكونوا من أبنائها بل كانوا من الأعاجم .

علم اللغة عند العرب:

يعتبر **ابن جني** ومعاصره **أحمد بن فارس** من الرواد الأوائل الذين درسوا خصائص اللغة العربية، وأماطوا اللثام عن كثير من علومها الخفية، كعلم الدلالة حيث سموه في بحوثهم الأولى **فقه اللغة، وعلم متن اللغة** .

علم الدلالة لا يتعرض لاشتقاقات الكلمة في ذاتها، كما هو في المعاجم القديمة، إنما يعني دراسة الصوت، وما يدور حوله، يعني فهم الأصوات مفردة كانت أو مركبة، وإدراك خصائصها .

يرى **ابن خلدون** أنه هو بيان الموضوعات اللغوية . وعرفه **الفرابي** بقوله (هو علم الألفاظ الدالة عند كل أمة على قوانين تلك الألفاظ). ولما اختلط العرب بغيرهم من العجم، خيف على اللغة العربية الضياع والفساد، وحرصا منهم عليها استحدثت علوم الآلة كالنحو، والصرف، والبلاغة .

وقد بين **ابن خلدون** أن اللغة في بداية الفتح الإسلامي احتاجت إلى لون دراسي جديد يخالف النظام النحوي المتعارف عليه، يقول أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو -الإعراب - استُنبطت القوانين لحفظها كما أشرنا، ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم، حتى وصل الفساد إلى معاني الألفاظ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير محله، ميلا مع هجنة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتابة، والتدوين خشية الاندراس والضياع، وما ينشأ عنه من جهل بالقرآن والحديث، فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك، فأملوا فيه الدواوين والأسفار.

تعمقت دراساتهم فيم سموه بفقه اللغة أو علم متن اللغة (حتى انقسموا في بحوثهم إلى فرقتين منهم من يرى أن الألفاظ تسبق المعاني، ومنهم من يرى أن المعاني سابقة للألفاظ، وكان لكل فئة أرباب، ومن علماء العرب أيضا من يأخذ بالأول والثاني وما يثلثهما كالفيومي في المصباح). الدافع الأساس في الدراسات اللغوية القديمة، هو الحفاظ على اللغة العربية، وبالتالي الحفاظ على الكتاب المقدس- القرآن الكريم - وحتى لا يعترى اللغة العربية أي خلل وأي علة، ولا تدخل

عليها أي شائبة لا في الحديث النبوي، ولا في علوم الدين بعدما فسدت السلائق، (يرى **العقاد** أن دعوى الأمم في التفاخر بلغاتها دعوى أنانية لا دليل لها. والعربية قوتها معها ودليلها حاضر فيها)، سبقه في ذلك عبقري اللغة العربية **أبو الفتح عثمان بن جني** على الرغم من أنه رومي الأصل، ولو أنه لا يمكن أن يُقارن بين لغته الأصل واللغة العربية بعدما أتقنهما معا، لأنه بُهر بالعربية وسحر ببيانها .

واهتم **الجاحظ** بالدلالة في كتابه البيان والتبيين حيث أظهر مكانة اللغة العربية وجماليتها، فأخذ في جمع الصور اللفظية، التي هي عبارة عن تمثيل لدلالات المعاني المختلفة، كما ركز على أصوات الحروف).

الدلالة عند الغربيين:

بعد الإشارة إلى علم الدلالة عند العرب، كان للغرب نصيبهم في هذا المعنى إذ أشار إليها العالم اللغوي (**ماكس مولر**) في كتابيه العلم واللغة 1862، والعلم والفكر 1887، وكانت إشاراته إلى هذا العلم ساذجة لا تعدو أن تكون دراسة للربط بين اللغة والتحليلات المنطقية للمعنى .

كما أشار إلى هذا العلم اللغوي الفرنسي **ميشال بريال** حين تحدث عن لفظ **السميائية،** في مقال له كتبه سنة 1883، تطرق فيه إلى مسائل دلالية متعددة، وأصدر كتابا بعنوان **حياة الألفاظ** سنة 1887، وإليه يعود الفضل في الاهتمام العلمي بالدلالة ضمن إطار اللسانيات، في الدراسات الحديثة. تحدد وجودها أكثر في ثلاثينات القرن الماضي على يد اللغوي **ستيفن أولمن** حيث بيّن معالمها بإثارته لمفهوم المعنى ومشكلاته .

لم يكن هذا المصطلح ليظهر إلا لتوالي الجهود من قدامى ومحدثين، والاهتمام به كان وليد اهتمام الأمم السابقة بلغاتهم بدأ بنواصي الفكر البشري، عند اليونان والهنود، واهتم به العرب أكثر لأنّه يعتبر الدائرة الأساس، والمحور الثابت الذي يدور عليه دينهم الإسلام، وتوالت بعدهم دراسات جادة في ذات المجال حبا و تعصبا كل امة للغتها.

الدلالة في القرآن الكريم ومعجمات اللغة

الدلالة في القرآن الكريم: الدلالة لفظ تعلق بالمعنى لغة، ويرجع الأصل في هذا العلم إلى أعماق التاريخ البشري، منذ أن اهتم الإنسان بلغته، بدأ من اليونان والهنود، واشتهر عند العرب القدامى حينما التفوا حول كتابهم المقدس" القرآن الكريم "لأن الدافع الأول في دراسة الإسلام والقرآن الكريم هو المعنى، وهو الدلالة، والتأويل والدلالة لفظ معبر عن المعنى المستخلص من النص .

والإعجاز القرآني كان الدافع الملح لاستنباط الأحكام الشرعية لذلك كان علم الدلالة حاضرا بقوة في التفاسير والشروح القرآنية؛ وأول من تكلم عن اللفظ والمعنى، والعلاقة بينهما هو المفسر العربي: مقاتل بن سليمان (150 هجري) ، وتقدم الزمن وتطورت الدراسات، بالأخص في العصر العباسي لما قويت شوكة الإسلام، واتسعت دائرته، بحث العلماء في الوجوه والنظائر وما اتفق لفظه واختلف.

وقد اهتم الفقهاء بهذا العلم باعتباره روح دينهم وعمود سنامه، بلا فقه وفهم لا تصح العبادات والقربات. أما اللغويون فاهتموا بأصل الألفاظ و منابتها واشتقاقاتها للوقوف على أصل واحد.

أما علم المعنى فذلك مبتغى فقهاء المسلمين، ما هو المعنى وما هي أبعاده الإنسانية من الجانب العاطفي والنفسي والوجداني، فالدرس الدلالي لم يغب عن المدونات الأولى عند العرب إلا أنّه من باب الإنصاف لم يكن علما مستقلا بذاته، وإنما هي نتف متفرقة في كتب اللغة والدين أشاروا إليه وهم يدرسون التحول الدلالي للألفاظ من خلال السياقات القرآنية المختلفة، مثال في الدراسة: لفظ تولى في القرآن يأخذ معاني مختلفة تماما في سياقات قرآنية متباينة ، ففي قوله تعالى (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا) البقرة الآية 205.

استولى طلب الولاية وحصل عليها عنوة ، و هي أيضا بمعنى إذا انصرف هذا المنافق وغاب عن الأنظار تحرك للإفساد، وفي قوله :" ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ " البقرة الآية 64 خطاب دلَّ عن العودة في العهود والمواثيق، والتمرد والجحود .

و العودة في العهد والعقد هي الرفض والإعراض بعد القبول ، وفي قول سيدنا يعقوب "وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ) يوسف الآية 84 بمعنى انصرف عنهم، وكره ما سمع وفي قوله تعالى(وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا) المائدة الآية 56 هنا هي بمعنى من يطع الله، وينصر رسوله. وفي قوله (اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا) البقرة الآية 257 أي الله ناصرهم ومتولٍ أمرهم.

في هذه الآيات الكريمات نلاحظ تلونات المعنى المادة الواحدة، ذلك كان الدافع الأساس لعلماء المسلمين في الغوص في أغوار المعاني، والبحث عن دلالات الألفاظ المفردة وداخل السياقات المختلفة .

الدلالات السياقية هي المقصودة في عمليات التواصل حتى يصل المعنى المراد تاما من المرسل الى المتلقي.

وأن يقع الفهم كاملا للألفاظ المركبة داخل السياقات اللغوية. أما المفردات المجردة قد تحمل معاني متضاربة ومتباينة

مثال : لفظة "أخذ" تتلون معانيها في السياقات الآتية : أخذ المتفوق جائزة ، وأخذ الظالم . جزاءه، وأخذ الرضيع في البكاء، آخذني أبي عن الزلات الخ ... فلا تفهم المفردة مجردة إلا داخل السياق الذي تأخذه ، وهو ما يعرف عند اللغويين بسياق الموقف.

وشبكة المفهومات داخل القرآن الكريم، والحقول الدلالية التي تؤديها آياته داخل السياقات المختلفة لا تتعارض فيهما بينهما أبدا.

الدلالة في المعاجم :

في المعجم الجامع كلمة دلالة هي أجرة الدلال، والدلالة فاعل من دل، والجمع دلائل ودلالات، فالدلالة الإرشاد، والدلالة بكسر الدال اسم لعمل الدلال. والدلالة بفتحها ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه، وهي أيضا الدليل، الشاهد والعلامة .

وعلم الدلالة : (من علوم اللغة) هو العلم المختص بدراسة معاني الألفاظ والعبارات اللغوية في سياقاتها المختلفة ، كما يشار إليه، وهو تغير معنى الكلمة على مر الزمان من دلالة إلى دلالة.

دلالة اللفظ : فهم المعنى الذي يراد منه ، فدلل تدليلا الملاطفة ولين التعامل، ودلل على المسألة أقام الدليل على صحتها ، أثبتها بالدليل، وتخرج عن هذا المعنى في سياقات لغوية أخرى فتأخذ معنى الدلال دون تشدد بمعنى رفه، وتساهل في تربية الطفل، لاطفه وداهنه، ودلل امرأته عاملها بلطف ورقة. ودلل على السلعة عرضها للبيع بالمزاد مناديا عليها بصوت مرتفع، باعها والدليل : هو المرشد والجمع أدلة ودلائل، وهو ما يستدل به، برهان، بينة، حجة، شاهد علامة .

ودليل الصداقة عربونها، ودليل الهاتف هو دفتر تسجل فيه أسماء المشتركين، وأرقام هواتفهم . ويتقدم الدليل السّياح المرشد السياحي. لاحظ هذه التلونات الدلالية المختلفة للفظ الواحد، بمادة واحدة لكن السياقات والتراكيب هي من تتحكم بالمعنى.

و مدلول الكلمة معناها ومؤداها، الصورة الذهنية لما تدل عليه ،أو لما تحيل وترجع إليه.

واجتمعت معظم المعاجم على معنى الدلالة دون كثير تغير، يستقر المعنى العام لكلمة دلالة على أنه علم يختص بدراسة معاني الألفاظ والعبارات، والتراكيب اللغوية في سياقاتها المختلفة ودلالة الكلمة المفردة المجردة من سياقاتها لها دلالة أساسية، التي تطلق عليها الدلالة الاجتماعية، وهي ما تواضع عليها جماعة فصار عندهم عرفا.

الدلالة في القرآن الكريم

التعريف :

الدلالة من مادة دل ل بمعنى دل ،يدل الى الشيء، أي وضح و بيّن، تدليل أمر حتى يفهم ، والدليل برهان لتقوية المعنى، دله على المكان أشار إليه، ووضح مسالكه، وهي من دلالة و دلالة وذلك في اللغة، أما في المعنى الاصطلاحي فهو علم يختص بالمعاني يدرس الألفاظ والمفردات وما يقابلها من معاني ودلالات، لأجل إدراك معنا بعينه ، داخل أنساق لغوية مترابطة ضمن علاقات متقاربة. يقول الشريف الجرجاني : هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء أخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول، وهذا المعنى عام ثم ينتقل ليخص الأمر أكثر فيما يتعلق بالألفاظ و مدلولاتها المعنوية، انتبه العرب إلى هذه المعاني في حلقات دلالية متلاحقة، بدأ من الجاحظ في كتابه البيان والتبين، وعبد القاهر الجرجاني في نظرية النّظم إذ تعتبر الدّلالة جوهر كل تأليف، وهدف كل تواصل، ففي دلائل الإعجاز هذا المؤلف الّذي لم ينهج فيه صاحبه نهج المتكلمين، وأصحاب المنطق العقلي، وإنما استهدف الإعجاز القرآني من الجانب اللساني والأسلوبي، فتناول اللفظ في حالتيه الافرادية والتركيبية وعلاقتهما فيما بينهما، وما يصنعان من معنى و ما يتفرع عنهما من مباحث لغوية مختلفة.

أنواع الدلالات :

للدلالة عند أهل اللغة أنواع مختلفة إذ أن الكلمة العربية تأخذ أبعادا متباينة في تشكيل معناها الحقيقي داخل النسيج اللغوي ، ما أوجب على علماء اللغة تبيان أنواعها

1/***الدلالة المعجمية :*** هي دلالة متعلقة بتعدد المعاني للمفردة الواحدة، وذلك حسب السياق الذي توجد فيه، استنبط العرب دلالات أشياء من أصوات الحروف، فالقاف مثلا حرف صلب، بينما يدل الخاء على الرخاوة؛ إذ تقول العرب" أن مسموع الأصوات يعود الى محسوس الأحداث " و هو ما يوجد في أصوات الحيوانات والنباتات ، كالمواء والنباح والنهيق والرغاء والثغاء، وأصوات الطبيعة كالحفيف والهدير والخرير . و لا يكون الخرير في المياه

الراكدة أبدا ، فالصوت لا ينتج إلا بالنطق وتحريك اللسان، والخرير لا يكون إلّا بحركة الماء (سيلان أو جريان)

و جاءت آيات القرآن الكريم دالة على ذلك إذ أن آيات السجود توضح الأمر أكثر : قال تعالى في سورة مريم :"إذَّا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَدًا وَ بُكِّيًا "مريم الآية 58 خروا بمعنى سقطوا واتبع السقوط بالبكاء، والخرير هو صوت الماء؛ وتحصل الصورة المعنوية بحيث تربط بين الصوت والحركة، وهي إضافة صوتية فللكلمة دلالة صوتية، وهي الحركة زائدا البكاء، في قوله تعالى :" إنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ ريحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِر "الآية 19 القمر ، فالصرصر في الآية البرد الشديد، والصرير أو الصفير هو صوت الريح القوية؛ تحصل الدلالة الصوتية التي تعني برد شديد زائدا ريح قوية ،صورة بيانية ظاهرة إذ يتأملها القارئ فيرى المشهد المرعب لذلك اليوم، والعذاب المسلط على قوم عاد، فالصرصر هو البرد والصرير هو صوت الرّيح الشديد ، فيها فعل البرد زائدا لصوت صفير الرّيح؛ وكأنّ المتلقي وإن كان لا يحس البرد، فكأنّه يسمع صوت الريح. فدلالة الأصوات تتغير من حرف إلى أخر، فالسياق القرآني السابق استعمل حرف الصاد ولم يستعمل حرف السين لأن السين أضعف من الصاد، فالقوة حاضرة في الطبيعة، وفي الصوت المعبر به عنها، وحتى يكون الكلام أكثر قوة في توضيح المعنى المراد من اللفظ .

الدلالة الصرفية : هي دلالة تدرس المعاني من خلال الأوزان الصرفية، والصيغ المجردة، ومعانيها المختلفة، ويكون الاختلاف عادة في أصل الكلمة البنائي والنحو الإعرابي.

كون الجملة السياقية الواقعة ابتداء بالأسماء تكون أثبت وأوكد وأكثر استمرارا بخلاف الجملة الواقعة ابتداء بالأفعال فهي جمل تفيد التغير والتحول، مثال الجملة الفعلية الدالة على زمن الفعل الماضي أو المضارع أو **الأمر:** أي أن الفعل تتغير قيمته الفعلية على حسب الزمن الذي وقع فيه بمعنى يعتريه التجدد مثلما يعتريه الابتلاء ، أما اسم الفاعل يدل على صاحب الفعل دون ارتباط بزمن؛ لاحظ الآية الكريمة قال تعالى :"

وَمَا كَانَ اللّٰه لِيُعَذِبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهمْ وَمَا كَانَ اللّٰه مُعَذِبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ "أنظر إلى الآية في قوله ليعذبهم فعل مضارع باستعمال لام الجحود أي أن اللّٰه لا يعذب القوم الذين فيهم رسول اللّٰه لأن فترة وجود النبي الكريم بين ظهرانيهم، هي محددة بزمن وهو زمن حياته- صلى اللّٰه عليه وسلم -ولكن أشار في السياق الموالي إلى ما هو أثبت وأكثر استمرارا، وهو نفي العذاب عنهم وهم يستغفرون، لم يحدد اسم الفاعل مدة ولم يقرنها بزمن؛ ناهيك عن التأثير اللغوي الواضح في دلالات الألفاظ عند تغير الأوزان الصرفية، معنى التعدية يكون باستعمال الشّدة، والحروف المشددة تحتاج جهدا للتلفظ بها لدرجه أن أسارير الوجه تشدّ عند النطق، مثل: صدق الرجل جملة فعلية بها الفعل لازم وعندما تعديها تصير صَدَّقْتُ الرجل. بإضافة الشدة تعدي الفعل إلى مفعول به .ويكون الأمر أشد وضوحا في زيادة الشدة بخاصة إذا كان الحرفين المشددين متواليين. وفي قوله تعالى النساء الآية 92 :" إلَى أَنْ يَصَّدَّقُوا " وأنت تقرأ هذه الآية الكريمة تحس الانقباض الذي يعتري أسارير وجهك بشكل واضح، هذا عند النطق، بينما السياق الذي تقع فيه الآية، هو المضض والشدة لأن المتصدق هنا يعطي بغير نفس، لأنه يتصدق بالدّية مقابل القتل الخطأ؛ وكيف للإنسان أن يتصدق على قاتلِ قريبٍ أو عزيز له.

أما الأوزان البنائية في الكلمة تؤدي معاني في ذاتها، فالفعل فَعَلَ وانْفَعَلَ وتَفَاعَلَ وافْتَعَلَ، كل فعل يؤدي معنى في بناءه أي معنى الفعل داخله .الوزن دليل على المعنى يكون بمعنى المشاركة أو التظاهر .فسبق وتسابق واستبق كل فعل دل على حدث من خلال وزنه؛ وتبقى الكلمات المجردة فقيرة إلى سياقات متصلة لتؤدي المعنى المرجو.

عناصر الدلالة :

للدلالة ثلاثة عناصر رئيسيه وهي(الدال والمدلول والنسبة) فالدال هو العنصر الذي يحمل المعنى المراد سواء كان لفظا أو صورة أو إشارة ويعني عند" دي سوسير" الصورة الصوتية. وهو الذي يثير أثرا نفسيا يدفع بالذاكرة إلى استحضاره إذا كان غائبا مثل

لفظ سيارة مباشرة تقوم الذاكرة باستحضارها أو الإشارة إليها في حال وجودها، والصوت الفيزيائي الحقيقي هو محرك الإدراك.

.

أما المدلول فهو المراد من الدال المرجو منه، فاللفظ الصوتي دال له معنى أو مقابل تُستحضر صورته في ذهن المتلقي؛ أما النسبة فهي العلاقة الدلالية التي تربط الدال بالمدلول بحيث لا يمكن الفصل بين عنصريها (الدال والمدلول) مثلا سيارة : مركبة تستعمل في تنقلات البشر لا يذهب الذهن إلى قافلة تسير أو شيء أخر وإن كانت تأخذ ذات المعنى قديما .فالعلاقة وطيدة بين الدال و ما دل عليه.

2__1//الدلالة عند الفارابي (ت 339 ه)

لا يخفى على دارس علم الدلالة أن الكلمات لها معنى أساسي، وهو المعنى الأصل الّذي وضعت لأجله، إلّا أنّ الكلمات تعتريها تغييرات إذا ما ركبت في جمل أخذت معاني سياقية مكتسبة، دون أن تزيغ عن معناها الأصل، ولذلك اعتبرت الدلالة المعجمية هي الأصل، والدلالات الأخرى هي دلالات وظيفية. (صّوتية، صرفية، نحوية) لأنّ هذه الدلالات لها معاني وظيفية خاصة تؤديها مساهمة بذلك في بيان المعنى العام ووضوحه .

فالنّظرية الدلالية عند الفارابي لا تخرج عن إطار علاقة الألفاظ بالمعاني ضمن القوانين المنطقية، ومن هذا نعلم أن البحث في الدرس الدلالي العربي يمتد إلى القرون الأولى لمبعث الإسلام، (وهذا التاريخ المبكر إنّما يعني نضجا أحرزته العربية وأصّله الدارسون في جوانبها). تلك هي اللبنات الأولى للدرس اللغوي، التي ارتقى عليها المحدثون من أمثال: ميشال بريال . ومما لا ريب فيه أنّه استقى من جهود سابقيه الّذين وفروا له مفاهيم مختلفة تخص المنظومة اللغوية من جميع جوانبها .

الدلالة عند أبي النّصر الفارابي:

قام قدامى اللغويون بالتنظير لشتى العلوم، حتى لا تخرج عن أطرها وغاياتها، ما ساعد الفارابي في العلوم العقلية التي تعمق فيها كالفلسفة والمنطق، فالتعبير عن هذين العلمين يحتاج إلى لغة تحمله، وهو في رحلة بحثه العلمي، عرّج على علم الألفاظ، فقسمها إلى عدد من الأبواب:

1/ علم الألفاظ المفردة.

2/ علم الألفاظ المركبة.

3/ علم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة.

4/ قوانين الألفاظ عندما تركب.

5/ قوانين تصحيح الكتابة.

6/ قوانين تصحيح القراءة.

7/ قوانين الشعر.

وهو يدرس الألفاظ لا يمكنه فصل المعنى، فهما متعلقات طبيعية لا يمكن الفصل بينهما، وهي إشارة هامة جدا تحدد اتحاد اللفظ بالمعنى، وما ينتج عنهما من علاقات دلالية. وهو باهتمامه بعلم الألفاظ المفردة إنما اهتم بالمعنى المعجمي للألفاظ، الذي يدرس جذر اللفظة المفردة بمعزل عن السياقات اللغوية، التي تأخذها في مختلف تلوناتها التركيبية. يقول الفارابي:- في هذا المضمار- (الألفاظ الدالة على معاني مفردة، ومنها مركبة، تدل على معاني مفردة، ثم يواصل تفصيله في ذلك : (الألفاظ الدالة على المعاني المفردة ثلاثة أجناس: اسم وكلمة وهي الفعل والأداة وهي الحرف، وهذه الأجناس الثلاثة كلها دلت على معنى مفرد في ذاتها، وتعني معنى مفردا، وهي مركبة مثل: إنسان لفظ مفرد، وعبد الله لفظ مركب دل على نص مفرد، يقول أيضا أن اللفظ لا يدل على ذاته إنما يدل على المحتوى الفكري الذي يحمله الذهن. يدقق كذلك في الحرف باعتباره أداة للربط أو الاستفهام أو العطف أو للأعمال النحوية الأخرى كالنصب، والجر، والجزم، بأن ليست له دلالة في ذاته، وإنما تتعلق معانيه بما يشير إليه، ودلالته لا تظهر إلّا في غيره .

والفارابي يطلق على المعاني والدلالات مصطلح منطقي، نابع من تخصصه، وهو "المعقولات"، التي يكون محلها النفس، أين تصحح المفاهيم بقوة المنطق. يقول أيضا: (أما موضوعات المنطق، هي التي تعطي القوانين (وهي المعقولات) ذلك (أن الرأي إنّما نصححه في أنفسنا بأنّ نفكر ونتروى، ونقيم في أنفسنا أمورا ومعقولات شأنها أن تصحح ذلك الرأي)

و يمكن أن نقول أنّ الفارابي ربط المعاني بالمنطق، وإن كان الدرس الدّلالي من اختصاص اللغة، إلّا أنّه ربطه بالمفهوم المنطقي؛ فالمعنى عنده ما يختلج في النفس ويصححه العقل والمنطق.

01//نشأة علم الدلالة

علم الدلالة

هو علم تعلقت أوشاجه باللغة تعلق الأم برضيعها، بحيث لا يمكن الفصل بينهما بأي حال من الأحوال . إذا حضرت الألفاظ حضرت المعاني، وإذا حضرت المعاني حضر ما يقابلها من الألفاظ ، وبالتالي فهو علم قديم قدم اللغة ومستعمليها ، إلا أن معرفته كعلم مستقل يدرس المعاني متصلة بالألفاظ، بمعنى دال ومدلول لم يعرف إلّا حديثا على يد اللغوي الفرنسي "ميشال بريال " وهو يتعرض إلى مفهوم السّميائية ، في مقال له كتبه سنة 1883. كما تعرض له العالم اللغوي "ماكس مولر " في كتابيه "العلم و اللغة " 1862 و "العلم والفكر " 1887 ، إلا أنه لم يعطه حقه من التعريف ولم يبين ماهيته الحقيقية .

تحددت معالم هذا العلم على يد اللغوي "ستيفن ايلمان"في ثلاثينات القرن العشرين، حينما تحدث عن المعنى ومشكلاته. وما ذكرنا فيما سبق ما هي إلا تحديدات لتسمية هذا العلم بعلم الدلالة إلا أن جهود القدامى لا يمكن التغافل عنها في هذا الميدان.

يقول **"أحمد مختار عمر"**بأنه العلم الذي يدرس المعنى، وهو فرع من اللغة يدرس نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى. ومن هذا يتضح أن علم الدلالة هو علم يتعلق باللغة ومؤداها شرحا وتفسيرا واستنباطا لدلائل الألفاظ والكلمات.

كل معاجم اللغة تتفق على أن الدلالة ما دار في حقل الإرشاد والتوجيه، لكنه في علم الاصطلاح: هو المعنى الذي يختفي خلف ما تعارف عليه البشر من ألفاظ وكلمات، وخلف الأصوات التي تسمى لغة . أي هو علم يدرس معاني الألفاظ مجردة كانت أو مركبة داخل السياقات اللغوية. ويدرس المعنى المرجو من الرموز التي تسمى ألفاظا وكلمات، وما يختلج في الفكر إحضارا للصورة التي يشير إليها الرمز الصوتي المسموع عند فئة ما شريطة أن تكون هذه الفئة مشتركة اللغة .

تحدث قدامى العرب عن الدلالة بتسميات مختلفة كفقه اللغة، وعلم الألفاظ، وعلم متن اللغة، على أنه علم يرتكز على كل ما له علاقة في حمل المعاني والدلالات . تحدث عنه الشريف الجرجاني بأنه معنى الرمز المعلوم الدال على شيء أخر، ثم انتقل بالدلالة من هذا المعنى العام إلى معنى خاص يتعلق بالألفاظ، إذ تعتبر من الرموز الدلالية لغة واصطلاحا ، مستعملا مصطلحات معاصرة تتعلق بالدال والمدلول والعلاقة القائمة بينهما لتوليد دلالة جديدة. كما تحدث عنها الجاحظ في أبواب البيان مظهرا جمالية اللغة العربية، فتناول الصور اللفظية وغير اللفظية في تمثيل دلالات المعاني المختلفة، مركزا على دلالات أصوات الحروف. من حيث القوة والضعف، والشدة واللين.

ورآه الفارابي على أنه علم خاص يدرس الألفاظ وما يقابلها من معاني، مفصلا فيه تفصيلا واضحا، وعدّه على أنّه من علوم اللسان.

كما تحدث عنه عبد القادر الجرجاني (علم الدلالة) بيّن قيمة اللفظ في حالتي الإفراد والتركيب وعلاقته بالمعنى. كما اهتم بالحقل الدلالي وقسمه إلى قسمين: هما الدلالة اللفظية، والدلالة غير اللفظية .

وربط أبو حامد الغزالي الدلالة بالقران الكريم، لفهم نصوصه على أسس لغوية واضحة، وضع لها أصنافا: كالمعنى الإرشادي والمعنى الاتساقي و المعنى السياقي .

وقد أعطى ابن خلدون في مقدمته شرحا مستفيضا حول الدلالة قال : "واعلم بأن الخط بيان على القول والكلام ، كما أن القول والكلام بيان عما في النفس والضمير من المعاني، فلابد لكل منهما أن يكون واصفا للدلالة .

ومن خلال ما سبق يتضح أن علم الدلالة نشأ وتطور مع البشر، وتحدث عنه العرب في مؤلفاتهم كما تحدث عنه العجم أيضا، واصطلح المحدثون على تسميته بعلم الدلالة.